

البداية والنهاية

محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا أبي عن مرثد الفقيه عن أبيه قال وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلي دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه قال لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ودنت الصفوف بعضها من بعض خرج علي وهو على بغله رسول الله ﷺ فنادى ادعوا لي الزبير بن العوام فأني علي فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال علي يا زبير نشدتك الله أن تذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير ألا تحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلي ديني فقال يا زبير أما والله لنتقاتلنه وأنت ظالم له فقال الزبير بلى والله لقد نسيت منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال مالك فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول لنتقاتلنه وأنت ظالم له فقال أو للقتال جئت إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر قال قد حلفت أن لا أقاتله قال اعتق غلامك سرجس وقف حتى تصلح بين الناس فأعتق غلامه ووقف فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه قالوا فرجع الزبير إلى عائشة فذكر أنه قد آلى أن لا يقاتل عليا فقال له ابنه عبد الله إنك جمعت الناس فلما لم ترأى بعضهم لبعض خرجت من بينهم كفر عن يمينك واحضر فأعتق غلاما وقيل غلامه سرجس وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عمارا مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية فخشى أن يقتل عمار في هذا اليوم .

وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحا عنه فما رجع سواه ويبعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي والله أعلم .

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل سار فنزل واديا يقال له وادي السباع فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكر تفصيله وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فأعلم فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول إلى عباد الله إلى عباد الله فاتبعه مولى له فأمسكها فقال له ويحك أعدل بي إلى البيوت وامتلأ خفه دما فقال لغلامه اردفني وذلك أنه نزفه الدم وضعف فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه هـ .

وتقدمت عائشة هـ في هودجها وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفا وقالت دعهم إليه وذلك أنه حين اشتد الحرب وحمى القتال ورجع الزبير وقتل طلحة هـ